الفصل الثالث
النقد الادبي في العصر الأموي

عرفنا حال النقد ومظاهره في عصري ما قبل الاسلام وصدر الاسلام ، وآلان نتعرف على النقد في العصر الأموي ، وسنتناول النقد في هذه المرحلة حسب البيئات النقدية ، إذ برزت ثلاث بيئات ، ظهر في كل بيئة نوع من أنواع الشعر ، الذي شهد ازدهارا في هذا العصر ، واخذ مساحة واسعة ، وهذه البيئات الادبية الثلاث هي:- (بيئة الحجاز - بيئة الشام - وبيئة العراق) ؛ وقد تميز في كل بيئة غرض شعري أو أكثر، وكان النقد الذي اتسعت مساحته نظرا لاتساع مساحة مادته يدور حول هذه الأغراض الشعرية وشعرائها.

بيئات النقد في العصر الاموي :

أولا- البيئة الحجازية:

ازدهر في هذه البيئة فن الغزل بنوعيه :- (الحسي والعذري)،الذي يعود سبب ازدهاره الى :

أ- وفرة مجالس السمر والأدب والغناء.

ب- ترف المجتمع الحجازي.

وكان من ابرز شعراء الغزل:- (عمر ابن ابي ربيعة (في الغزل الحسي) و كثيرعزة وجميل بثينة ((في الغزل العذري)).

إما نقاد هذه البيئة فهم شعراء أو متذوقو الشعر ، أمثال كُثيرعّزة وابن أبي العتيق ، وموضوعات النقد في هذه البيئة كانت تدور حول شعر الغزل ، اذ تناول النقاد معاني الشعروأفكاره وصوره ، ومن أمثلة النقد في هذه المرحلة ، ما وجه لعمر ابن ابي ربيعة من نقد ، لأنه لم يحسن التغزل في بعض شعره – كما يرون - ولم يكن يحسن وصف المرأة المتغزل بها ، فقد اخذ عليه كثير غزة في قوله:

قالت لترب لها تحدثها لتفسدن الطواف في عمر

قومي تصدي له ليبصرننا ثم اغمزي يا أخت في خفر

فقال كُثير : (ان عمرأراد ان يتغزل بالمرأة فتغزل بنفسه ، فليس هكذا يقال للمرأة ، إنما وصفها بالخفر ، وهي مطلوبة ممتنعة) ، بمثل هذه الآراء وغيرها كان النقد الحجازي يضع لشعر الغزل أصولا لا ينبغي لشاعر الغزل ان يتجاوزها.

ثانيا - البيئة الشامية :

ازدهر في هذه البيئة غرض المديح ، بسبب كونها مركز الخلافة ، فكان الشعراء يحملون مدائحهم الى الخلفاء هناك ، وكان الخلفاء عندما تعرض عليهم هذه القصائد يبدون عليها بعض الآراء النقدية ، فابرز نقاد هذه البيئة هم الخلفاء والأمراء أما موضوعات النقد في هذه البيئة فمنها :

أ- اصول مخاطبة الشعراء للخلفاء والأمراء، فقد كان الشعراء الذين يفدون الى الشام مثل: جرير والفرزدق والاخطل وذو الرمة ، لا يحسنون مخاطبة الخلفاء والأمراء في مدائحهم ، من ذلك ان جريرا خاطب بشر بن مروان قائلا:

قد كان حقك ان تقول لبارق يا آل بارق فيم سب جرير

فقال بشير : أما وجد هذا رسولا غيري ، فليس هكذا يخاطب الامراء.

ب-اعتماد المعايير الدينية الأخلاقية اساسا لتقييم الشعر ، من ذلك ان عبد الملك بن مروان لم يعجبه مدح عبد الله بن قيس الرقيات في هذا البيت الذي يقول فيه:

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

وكان يفضل ان يقول له مثل ما قال لمصعب بن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

لأنه مدح ابن الزبيربالفضائل المعنوية الإسلامية ، بينما مدح عبد الملك بالفضائل المادية الدنيوية ، ولا يخفى ان الملك الناقد ادرك ان المعنى في البيت الثاني افضل ، لأنه يقوم على قيم دينية اسلامية ، فكان يريد ان يمدح بمثل هذه المعاني.

ثالثا ـالبيئة العراقية:

في هذه البيئة ازدهر غرضا الهجاء والفخر ، وعرف ثلاثة شعراء كبار دارت حولهم حركة النقد الادبي ، وهم جرير والفرزدق والأخطل ، إما ابرز مظاهر النقد في هذه البيئة فكان:

١-شيوع منهج (الموازنة) : في المعاني والاغراض الشعرية وأول ما طبق على الشعراء الثلاثة (جرير والفرزدق والأخطل)على أسس تتصل بشعرهم ، من حيث المعنى والصياغة والصورة والغرض الشعري والإحساس والتجربة الشعرية والمذهب الشعري لكل شاعر ، وبذلك شرعت هذه البيئة منهجا نقديا مهما هو منهج (الموازنة) ، الذي كان أساسا لمنهج الموازنة عند الامدي فيما بعد ، والذي طبقه على الشاعرين الكبيرين (ابي تمام والبحتري).

٢-ظهور مصطلح (الطبقة) النقدي : فقد شغل هؤلاء الشعراء الناس في عصرهم فعدوهم طبقة واحدة ، لا يجاريهم ولا يقاربهم احد من الشعراء ، وكانت تلك الفكرة نواة لنظرية (الطبقات)عند ابن سلام الجمحي لاحقا ، التي بنى عليها كتابه (طبقات فحول الشعراء)، ثم أدت فكرة كون هؤلاء الشعراء طبقة واحدة الى ان يجد من يماثلهم من الشعراء الجاهليين فقارنوا بينهم وبين ثلاث شعراء جاهليين هم (الأعشى وزهير والنابغة).

وما يلاحظ في هذا العصر : ان النقد ما زال نقدًا انطباعيًا يفتقر الى عاملي المنهج ، والناقد العالم ، فقد كان النقاد جميعهم من الشعراءأو متذوقي الشعر.

نقد اللغويين والرواة في القرن الثاني الهجري:

بدأت عملية تدوين التراث الشعري العربي خلال القرن الثاني الهجري،وقد تزامنت عملية جمع الشعر وتدوينه مع جمع الاخبار والايام والقصص والاحداث ، وتراجم الشعراء ، وقد نهض لهذا العمل مجموعة من العلماء في البصرة والكوفة ابرزهم : ابو عمرو بن العلاء ، و ابو عبيدة معمر بن المثنى ، ابو زيد

الانصاري ، الاصمعي ، خلف الاحمر ، حماد الراوية ، المفضل الظبي ، ويونس بن حبيب وغيرهم، من علماء اللغة،وكان السبب في عناية هؤلاء العلماء باللغة ، وتدوين شواهدها ـ من الاشعار ـ هو الوقوف على اسرار القران الكريم، وفهم معانيه، ذلك لان التراث العربي القديم ـ ومنه الشعر ـ إعتُمِدَ شاهدا ومثالا على تفسير القران الكريم ، وفهم معانيه ، لان مدار علوم القران الكريم ، والحديث النبوي الشريف، واللغة والنحو، هو الشاهد الشعري، فهو الدليل على صحة المعنى ، واستقامة اللفظ، وسلامة التركيب.
وقد اسهم هؤلاء اللغويين ـ بحكم نشاطهم في التدوين والرواية واللغة ـ في نقد الشعر وتقويمه، وتنوعت بجهودهم اتجاهات النقد في هذا العصر ، وثبتت اهتماماته ، وتعمقت نظراته ، وتهيأ له نقاد علماء ، ترفدهم ثقافة (لغوية ـ وادبية ـ وتاريخية) واسعة ، بعد ان كان نقاد القرن الأول وعصرما قبل الاسلام ادباءَ ومتذوقي شعر ، وهنا صار النقد علما وصناعة في هذا القرن كما يقول ابن سلام .

اتجاهات النقد عند اللغويين :

تعددت مظاهر النقد في هذا العصر ، وبرزت فيه عدة اتجاهات منها:
١- الاتجاه اللغوي: و يمثل النقد اللغوي .
٢- الاتجاه التوثيقي: و يعنى بتوثيق النصوص وتحقيقها.
٣- الاتجاه الفني: هو الاتجاه الادبي الفني .
وسنتناول فيما يلي هذه الاتجاهات بشيء من التفصيل:

أولا- الاتجاه اللغوي:

النقد في هذا الاتجاه يتعلق بنقد اللغويين لمخالفة الشعراء الجاهليين والإسلاميين في بعض إشعارهم ـ للأصول والقواعد النحوية التي وضعها هؤلاء العلماء،من خلال استقرائهم للشعر العربي ، ويتعلق هذا النقد برصد الأخطاءالإعرابية ، ونقد تذكير المؤنث ، وتأنيث المذكر ، وكذلك صرف الممنوع من الصرف، ومنع المصروف ، والفصل بين متضايفين ، واستخدام الألفاظ العامية والغريبة والمعقدة والدخيلة ، ومن ذلك ان عيسى بن عمرو اخذ على النابغة انه استعمل لفظة (ناقع) في قوله :

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرشق في أنيابها السم ناقع

والصواب ان يقول (ناقعًا) بالنصب على الحال، لا الرفع على النعت ، ومرده الى ان القافية تقبل ذلك ، وإذا نصبه كان إقواءا ، كما أُخذ على الفرزدق تعقيده شعره كما في قوله:

وما مثله في الناس إلا مملكا أبوأمه حي أبوه يقاربه

ويرتبط بهذا الاتجاه ـ في النقد ـ ظاهرةُالاحتجاج والاستشهاد اللغوي ، وتعني ان العلماء اللغويين قد حصرواالفصاحة ، والسلامة اللغوية ، في الشعر الجاهلي وشعر البادية ، على نحو خاص ، وقد ضيق هؤلاء العلماء مجال لاستشهاد والاحتجاج ، وقصروها على الجاهليين والإسلاميين الذين سلمت لغتهم من اللحن والفساد ، وجعلوا عصر الاحتجاج ينتهي بالشاعر إبراهيم بن هرمة المتوفي سنة (١٥٣هـ)، ومنهم من جعل عصر الاستشهاد ينتهي (سنة ١٦٨هـ) بوفاة بشار بن برد، وكان الأصمعي يسمي هؤلاء الشعراء الذي ينتهي بهم عصر الاستشهاد (ساقة الشعراء).

ثانيا ـ اتجاه توثيق الشعر وتحقيقه:

توثيق النصوص وتحقيق نسبتها الى قائلها ، وجد هذا النمط من النقد بعد شيوع ظاهرة الوضع والانتحال في الشعر ، فظاهرة النحل:ظاهرة جاهلية قديمة ، تتمثل بان يدعي شاعر ما نسبة أبيات لنفسه ، وهي

ليست له!، أما ظاهرة الوضع والصناعة : فهي ظاهرة ظهرت في الاسلام، وجدت عند بعض القبائل العربية التي وجدت ان تراثها من الإشعار قليل فوضعت أو صنعت إشعارا في الاسلام ونسبتها الى شعرائها الجاهليين.

اعتمد هؤلاء النقاد في توثيق هذا الشعر على أسس ومعايير منها:

١. الموازنة بين شعر الشاعر وبين القصيدة التي تنسب له ، فان وجدوا تماثلا في الصياغة أثبتوها ولا رفضوها.
٢. النظر في تعدد الروايات للنص الواحد.
٣. كون النص متصلا بسلسلة من الرواة الثقاة .

ثالثا ـ الاتجاه الادبي الفني :

ويتمثل هذا الاتجاه ـ في نقدهم ـ بما وضعوه من أسس ،ومعايير لنقد الشعر، والموازنة بين الشعر،وتحديد الإغراض الشعرية، وبيان خصائصها العامة ، وكذلك من خلال دراسة الشعر مبنى ومعنى ، ودراسة القصيدة من خلال مطلعها ، وحسن التلخيص فيها ، ومن خلال تقديم للكثيرمن المصطلحات النقدية مثل مصطلح الفحولة و السرقة ، ومن مظاهر هذا النقد أنهم اتخذوا معايير لتقديم الشعراءاو تأخيرهم من ذلك معيار الأصالة والإبداع ، فالشاعر الذي تتوفر في شعره عناصر الأصالة والإبداع ، يقدم على غيره من الشعراء ، وبناءا على هذا اتفقوا على أن (امرئ القيس) أفضل الشعراء، لأنه أول من بكى واستبكى، ووصف النساء ، وشبههن ببيض النعام ، وقيد الاوابد ، وكذلك وضعوا من التقليد معيارا كتأخير شاعر ما بسبب أخذه من شاعر أخر، لان التقليد لا يدل على الإبداع ، لذلك عابوا(ذا الرمة) لأنه إذا قال في النسيب فهو مثل جريرا.

س: إي النقاد اللغويين كان أكثر اتصالا بنقد الشعر؟

ج ـ تفاوت النقاد واللغويون في القرن الثاني الهجري في طبيعة إسهامهم النقدي ، وكان الأصمعي المتوفى(٢١٦هـ) أكثر اتصالا بالشعر ونقده ، لأنه يمتلك الكثير من صفات الناقد العالم المتخصص ، فأحكامه ، وآراؤه النقدية ، صادرة عن رجل كان قد خص الشعر والشعراء جل وقته واهتمامه ، فضلا عن ذلك كونه صاحب أول اثر نقدي مدون (فحولة الشعراء) ، الذي افصح فيه عن رايه في الشعر والشعراء ، معتمدا في ذلك على أسس محددة وواضحة ، وبذلك تهيئ للناقد الادبي ان يجد بداية النقد الادبي المنظم ، لتوفر عناصر أساسية تحدد هذه البداية ، وهي :

١- وجود الناقد العام المتخصص(الأصمعي).
٢- ظهور الأثر النقدي (فحولة الشعراء).
٣- قيام النقد عنده على أساس مبدأ ثابت ومحدد.

وهذا المبدأ هو مبدأ الفحولة ؛ الذي اتخذ منه معيارا نقديا للموازنة بين الشعراء ، وتفضيلهم وتقديم بعضهم على بعض ، من خلال النظر الى إشعارهم ، ومدى استيفائهم لأسس هذا المعيار ، أو هذا المبدأ ومقوماته ، ومن هذه الأسس والمقومات التي وضعها الأصمعي لمبدأ الفحولة:

١- ان يكون الشاعر متنوع الإغراض.
٢- ان يكون جيد الشعر كثيره.
٣- ان يكون شعره متصف بجزالة الأسلوب.